حكايات ألف ليلة

31

نِعمُ ونُعمةُ

الجزء الأول

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ. أحمد شوقى
إشراف : أ. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

يُحكى أنَّه كانَ يعيشُ في مدينة (الكوفةِ) رجلٌ وجيه ، كثيرُ المالِ ، ميسورُ الحالِ يُسمى (الربيع بنَ حاتمٍ) وقد رُزق هذا الرجلُ بولدٍ فسمَّاه (نعمةَ) ، واشترى له جاريةً صغيرةً لتتربَّى معه ، وسمَّاها (نعم) ..

وعندما كبرتْ الجاريةُ (نعمُ) كانت من أكثرِ أهلِ زمانها حسنًا وجمالاً ، وعلمًا وأدبًا ، فزوَّجها (الربيعُ) لابنِه (نعمة) وعاشَ الزوجانِ في أسعدِ حالٍ ، وأهنأ بالٍ ..

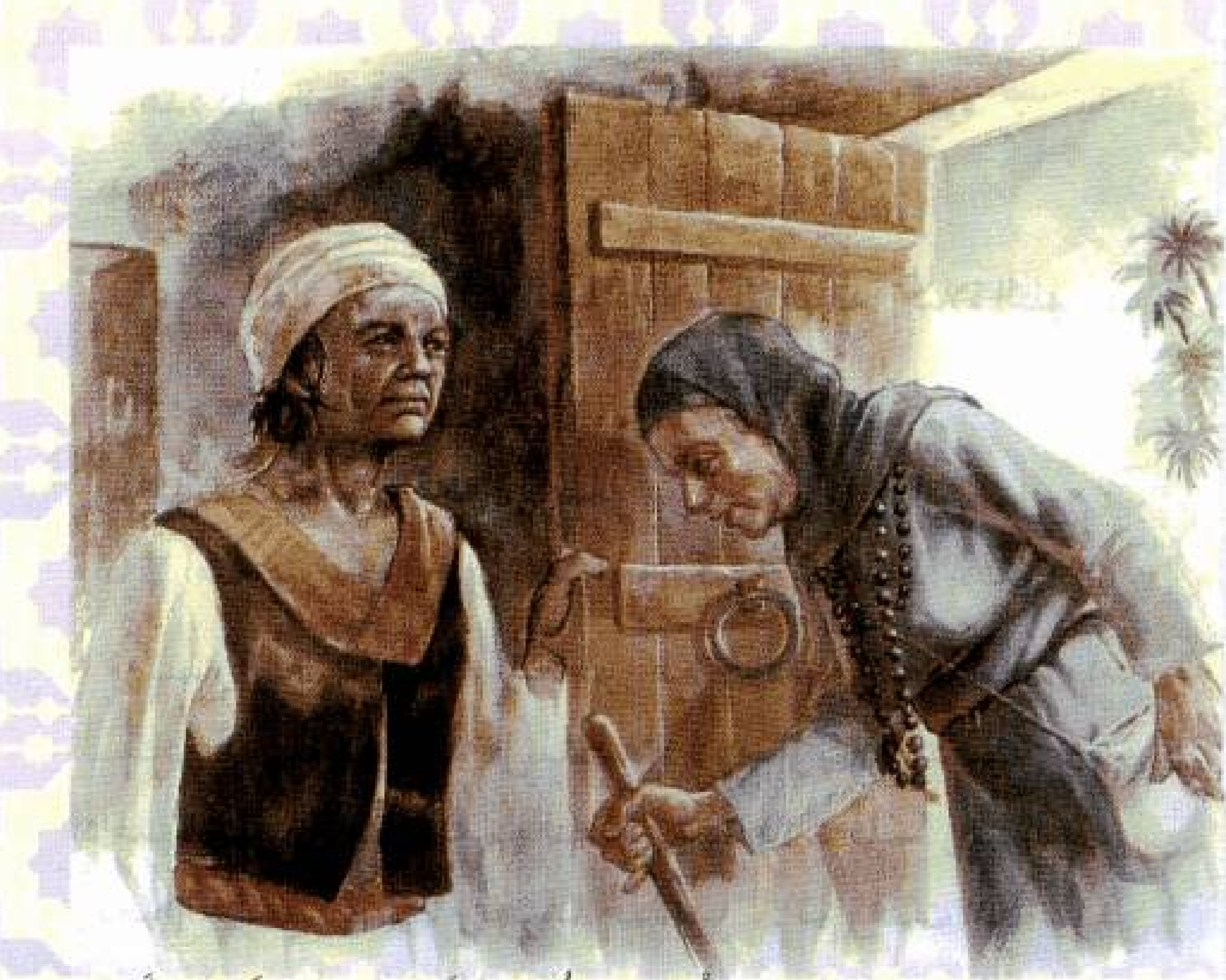
ويُحكى أنَّ أميرَ (الكوفةِ) في ذلك الوقتِ قد سمع عن الجاريةِ (نعم) وحسنِها ، فحسدَ (نعمةَ) على زواجِه منها ، وقال في نفسه :

ـ لا بد أنْ أحتالَ على أخذِ هذه الجارية ، حتى أقدِّمَها هديةً للخليفةِ في (دمشقَ) ..

ويُحكى أنَّ الخليفةَ في ذلك الوقت كانَ (عبدَ الملك بنِ مروانَ) ، وأنَّ أميرَ الكوفةِ قد استدعى عجوزًا ، وقالَ لها :

ـ أريدُكِ أن تذهبي إلى دارِ (الربيعِ) وأن تحتالي لأخذ الجارية (نعم) ؛ لأنني أريدُ أن أقدمَها هديةً للخليفة في (دمشقَ) ..

فوعدته العجوزُ بتنفيذِ طلبه ..



وفى اليومِ التالى ارتدتْ العجوزُ ملابسَها الصوفَ ، وعلَّقت فى رقبتها سبحةً عددُ حباتِها ألوفٌ ، وأمسكتْ بيدها عُكازًا ، ثم توجهت إلى دارِ (الربيعِ) وقتَ صلاةِ الظهرِ ، فطرقت البابَ ، وعندما فتحَ لها الخادمُ ، سألَها عما تريدُ ، فقالت له :

ـ أنا فقيرةٌ من العابدات ، وقد أدركتنى صلاةُ الظهرِ ، وأريدُ أن أصلىَ فى هذا المكانِ المباركِ . .

فتعجبَ الخادمُ وقال :

ـ هذه دارُ (نعمةَ بنِ الربيعِ) وليست مسجداً يا أماه ..

فقالت العجوزُ :

ـ أعرفُ ذلك ، لكنه وقتُ الصلاةِ وأريدُ ألا تفوتُنى صلاةُ الظهرِ ..

وطالَ بينهما الجدلُ والنقاشُ ، فقالت العجوزُ :

ـ هل تمنعُ سيدةً عابدةً مثلى من دخولِ دارِ (ابنِ الربيعِ) ، وأنا لا أمنعُ من دخولِ دورِ الأمراءِ والكبراءِ ، والصلاةُ فيها ؟!

وسمعَ (نعمةُ) كلامَ العجوزِ مع خادمه ، فضحكَ ، وأمر الخادمَ أن يتركَها تدخلُ للصلاةِ ، وسار بها (نعمةُ) حتى أدخلَها على زوجته (نعم) لتصلىَ عندها .. فلما رأت العجوزُ (نعمَ) سلمت عليها وبهرها جمالُها .. ثم وقفت العجوزُ فى ركنٍ وأخذت فى الصلاةِ والدعاءِ ، حتى انقضى النهارُ ، و(نعمُ) مبهورةٌ بكثرةِ عبادةِ العجوزِ وكثرةِ دعائِها لها ولزوجِها بالخيرِ ، ثم قالت لها مشفقةً عليها :

ـ يا أمى ، أريحى قدميك قليلاً من الصلاةِ ..

فقالت العجوزُ متصنعةً الورعَ :

ـ من أرادَ الآخرةَ يا بنتى أتعبَ نفسَه فى الدنيا ، ومن لم يتعبْ نفسَه فى الدُّنيا لم ينلْ منازلَ الأبرارِ فى الآخرةِ ..



ووقعتْ محبةُ العجوز فى قلب (نعم) لدرجة أنها اتفقت مع زوجِها (نعمةَ) أن يخلىَ لها مكانًا فى المنزلِ ؛ حتى تتفرغَ للعبادة عسى أن ينفعَهما اللهُ - تعالى - ببركة دعائها ، ولكنَّ العجوز غادرَت البيت فى اليومِ التالى ، قائلةً :

لا بد أن أذهبَ لزيارة إخوانى من العابدين الأتقياءِ ؛ حتى أتزودَ منهم بالخيرِ ، وأعودَ لكما بالبركة . .

فسمحا لها بالرحيلِ ، وهما حزينان على فراقِها . .

وأخذت العجوزُ الماكرة تترددُ على دارِ (ابنِ الربيعِ) بين الحينِ والآخرِ ، وهى تزعمُ لهما أنها تترددُ على أولياءِ اللهِ الصالحين ، حتى كانَ ذات مرة ، فقالَتْ لها (نعمُ) :

ـ يا أمى ، لقد شوقتينى لزيارة الأماكنِ الطاهرة ورؤية أولياء الله الصالحين . . أريدُك أنْ تأخذينى معك مرةً ، فقالَتْ العجوزُ :

ـ إن شاءَ اللهُ أفعلُ . .

وذاتَ يومٍ حضرتْ العجوزُ إلى دارِ (ابنِ الربيعِ) وكانَ (نعمةُ) غائبا عن المنزلِ ، فقالت العجوزُ لـ (نعم) :

ـ آنَ الأوانُ لآخذَكِ معى لزيارة الأماكنِ الطاهرة ، فقالت (نعمُ) :

ـ ولكنَّ زوجى وسيدى ليس موجودًا ؛ حتى أستأذنَه فى الخروج معك ، فقالت العجوزُ فى دهاءٍ :

ـ لم يكنْ زوجك ليمانعَ فى خروجك معى ، وأنت تعلمين مدى ثقته فى وإكرامه لى . . ثم إننا لنْ نتأخرَ كثيرًا . .

وهكذا وقعت (نعمُ) ضحيةً لمكر العجوزِ وتدبيرها ،



فغادرت الدارَ معها ، وهى لا تدرى ما يخبئُه القدرُ لها من مفاجآت ..

ما حدثَ بعد ذلك أنَّ العجوزَ توجهت بـ (نعمَ) إلى قصرِ حاكمِ (الكوفةِ) الذى أمرَ فى الحالِ بإعدادِ موكبٍ يحرسُه

خمسون فارسًا ؛ حتى يحملوا أجملَ جاريةٍ علَى الأرضِ فى ذلك الوقتِ إلى الخليفةِ فى (دمشقَ) ..

وأفهمَ أميرُ (الكوفةِ) قائدَ الموكبِ أن يقولَ للخليفةِ بأنَّ أميرَ (الكوفةِ) قد اشترى هذه الجاريةَ بعشرةِ آلافِ دينارٍ ..

ولما وصلَ الموكبُ إلى (دمشقَ) تسلَّمَ الخليفةُ (عبدُ الملكِ ابنُ مروانَ) الجاريةَ (نعم) وسلَّمها إلى زوجتِه لتجعلَها عندها مع بقيةِ الجوارى فى القصرِ ..

وهكذا أخليت للجاريةِ الجديدةِ (نعمَ) غرفةٌ فى جناحِ الجوارى بقصرِ الخليفةِ فى (دمشقَ) ، وخصصت لها وصيفة لخدمتها ..

ولما علمتْ (نعمُ) ما حدث لها وأنها قد أصبحتْ جاريةً فى قصرِ الخليفةِ ، وأنَّه قدْ حيلَ بينها وبينَ زوجها إلى الأبد بكتْ ، ودخلَتْ عليها أختُ الخليفة يومًا ، وهمَّتْ بأن تقول لها حقيقةَ ما حدثَ ، لكنها تراجعتْ فى آخرِ لحظةٍ ؛ خوفًا ألا يصدقها أحدٌ ، وأنْ يتهموها بالجنونِ ، وقالت فى ضراعةٍ :

ـ لقدْ فوضْتُ أمرِى للهِ ، وأنا أدعوه أنْ يفرجَ عنِّى هذه الغمةَ ، ويعيدنى إلى سيدِى وزوجِى (نعمةَ) ..



وهكذا وقعتْ (نعمُ) فريسةً للحمّى والمرضِ ..

أمّا ما كانَ مِن أمرِ زوجِها (نعمةَ) فإنّه عندما عادَ إلى دارِه، علمَ من الخدمِ أن (نعمَ) قد خرجَتْ في صحبةِ العجوزِ، ولما طالَ غيابُها ولم تعدْ، ذهبَ إلى رئيسِ الشرطةِ، وأبلغَه أنْ

عجوزًا قد أخذَتْ (نعم) واختفتْ ، فقالَ له رئيسُ الشرطةِ :

ـ دلنِي علي مكانِ العجوزِ ، وأنا أعيدُ لكَ جاريتَك منها ..

فتحيرَ (نعمةُ) ، وقالَ له :

ـ أنا لا أعرفُ لتلك العجوزِ سكنًا ولا عنوانًا ؛ لقد كنتُ أظنُّها واحدةً من أولياءِ اللهِ الصالحين ..

فقالَ رئيسُ الشرطةِ :

ـ للأسفِ يا سيدُ (نعمةُ) لقدْ وقعْتَ أنت وجاريتُك في يدِ محتالةٍ دجالةٍ ، ولا بدَّ أن تكونَ باعتْ جاريتك لتجارِ الرقيقِ .. عمومًا سوفَ نفتشُ عنها ، وقد نعثرُ عليها ..

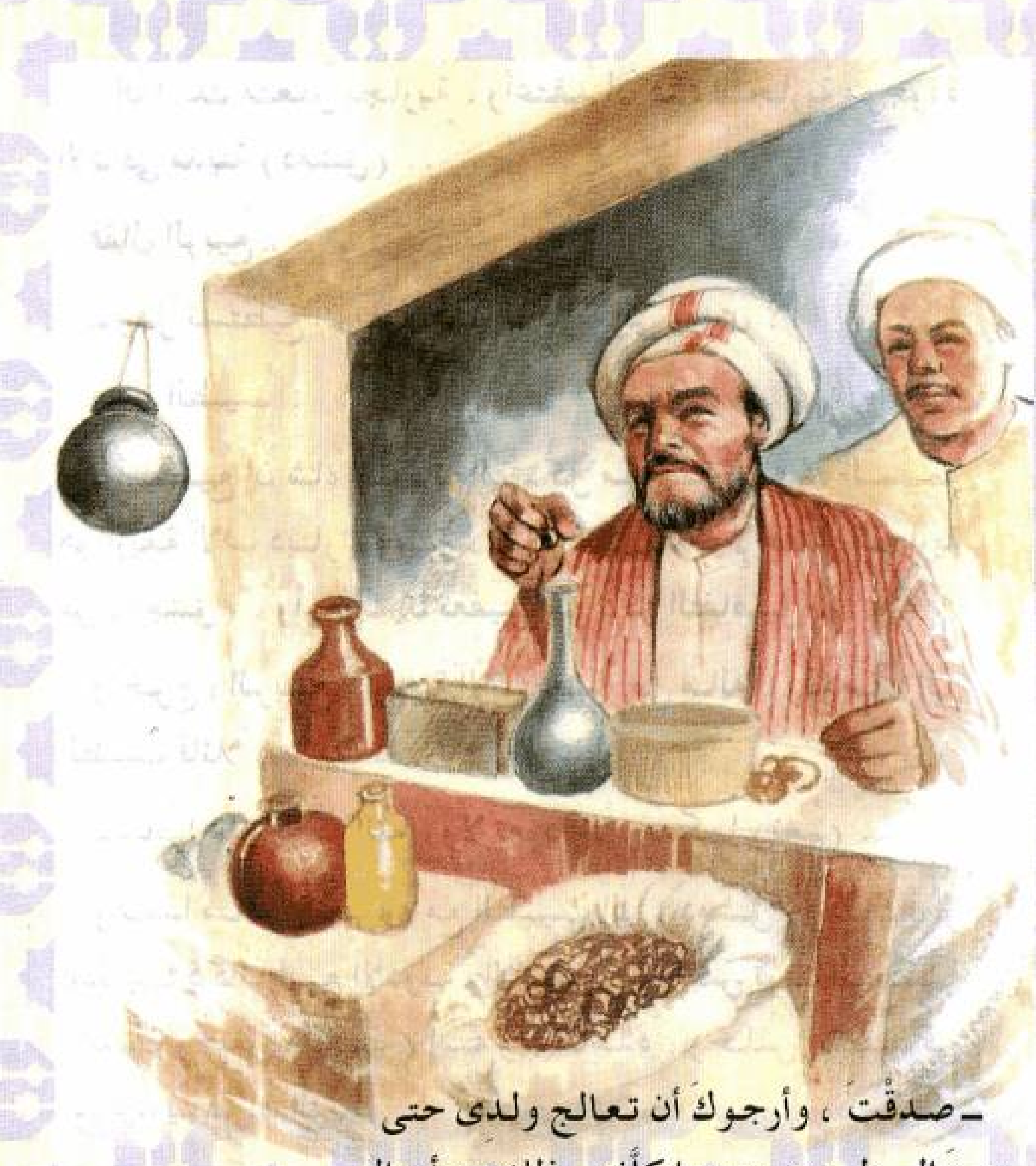
وبالطبعِ لم تعثرْ الشرطةُ للعجوزِ ، ولا حتى لـ (نعمَ) على أثرٍ ..

ووقعَ (نعمةُ) صريعَ المرضِ ، وحارَ الأطباءُ الذين أحضرهم له والدُه في علاجه ..

وذاتَ يومٍ جاءَ إلى (الكوفةِ) طبيبٌ ماهرٌ ، اشتهرَ بعلاجِ المستعصي من الأمراضِ ، فأحضرَه (الربيعُ) إلى دارِه لعلاجِ ولدِه ، فلما نظرَ الطبيبُ إلى (نعمةَ) قال لوالدِه :

ـ ليس بولدِك مرضٌ سوى مرضٍ في قلبه ..

فقالَ (الربيعُ) :



ـ صدقْتَ ، وأرجوكَ أن تعالج ولدى حتى يعودَ إلى طبيعتهِ ، مهما كلَّفنى ذلك من أموالٍ . .

فقالَ الطبيبُ ـ بعدَ أنِ اختْلى بالمريضِ وتفرسَ فى وجههِ طويلاً ، وسألَه عمَّا حدثَ ـ :

ـ إنَّ ابنَكَ متعلقٌ بجاريةٍ ، وأعتقدُ أنَّ هذه الجاريةَ موجودةٌ الآن في مدينةِ (دمشقَ) . .

فقالَ الربيعُ :

ـ وهل تستطيعُ أنْ تعيدَ هذه الجاريةَ إلى ولدِى ؟ !

وقالَ الطبيبُ :

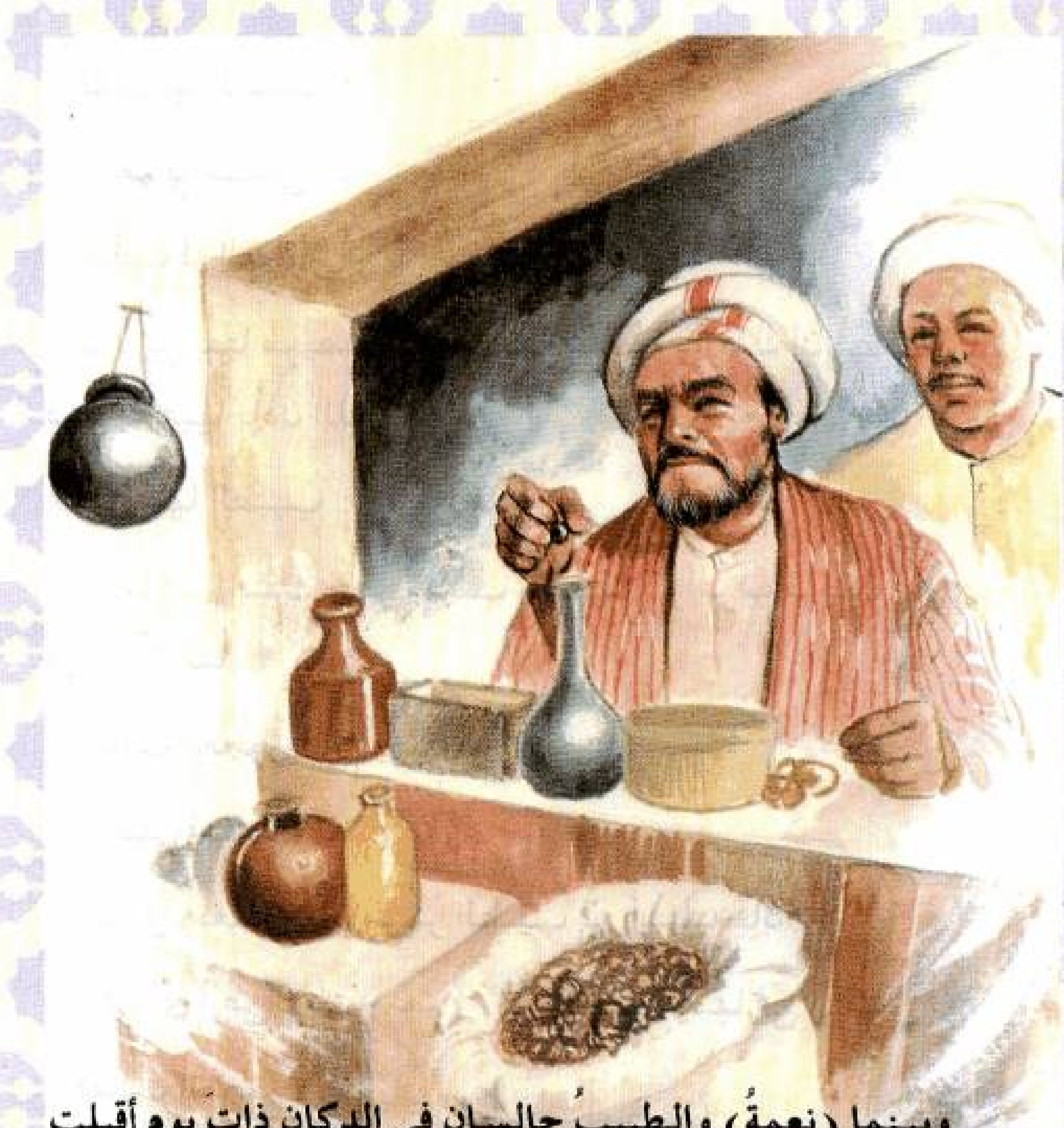
ـ أستطيعُ إنْ شاءَ اللهُ ـ تعالى ـ كلُّ ما أحتاجُه لهذه المهمةِ هو أربعةَ آلاف دينارٍ ، وسوف أسافرُ أنا وولدُك لإحضارِ الجاريةِ من (دمشقَ) ، وأرجوك أن تعفينى من ذكرِ التفاصيلِ . .

وأخرجَ (الربيعُ) أربعةَ آلاف دينارٍ من مالِه ، وقدَّمها إلى الطبيبِ قائلاً :

ـ سافرا على بركةِ الله ، ولا تعودا إلاَّ ومعكما (نعمُ) . .

وهكذا سافرَ (نعمةُ) مع الطبيبِ إلى (دمشقَ) وهناك أجَّر الطبيبُ دكانًا لبيعِ الأدويةِ والأعشابِ ، ولبس ثوبَ الحكمةِ والطبِ وجعلَ (نعمةَ) ابنه ومساعده ، وجلس الاثنان فى الدكانِ ينتظرانِ الزبائنَ . .

ولم تمض عدةُ أيامٍ حتَّى اشتهرَ الطبيبُ الجديدُ وولدُه (نعمةُ) فى (دمشقَ) وأقبلَ عليه المرضى لتشخيصِ أمراضِهم وأوجاعهم ، ووصفِ الدواءِ المناسبِ لهم . .



وبينما (نعمةُ) والطبيبُ جالسان فى الدكانِ ذاتَ يومٍ أقبلت عليهما عجوزٌ ، وقالت للطبيبِ :

ـ أنت الطبيبُ الماهرُ الذى جاءَ من العراقِ وبهرَ الناسَ بطبِّه وعلمِه ؟!

فقال لها الطبيبُ :

- نعمْ يا سيدتِي ..

فقالَتْ له العجوزُ :

- إنَّ لى بنتًا مريضةً منذ أسابيعَ عديدةٍ وأريدُك أنْ تصفَ لها دواءً يشفيها بإذنِ الله ..

فقالَ لها الطبيبُ :

- وما اسمُ ابنتك حتى أحسبَ نجمَها ، وأعرفَ مرضَها ، وأىَّ دواءٍ يناسبها ؟

فقالَتْ العجوزُ :

- ابنتى اسمُها (نعمُ) ..

فشهقَ (نعمةُ) ، واستمرَّ الطبيبُ فى أسئلته قائلاً :

- فى أىِّ أرضٍ تربَتْ (نعمُ) ، وكم مضى عليها فى (دمشقَ) ؟

فقالَت العجوزُ :

- تربَتْ وعاشَتْ عمرَها كلَّه فى (الكوفة) ، ثم جاءَتْ إلى هنا منذُ عدة أسابيعَ ، ويبدو أن تغييرَ الهواءِ قد أضرَّ بصحتها ..

فتأكدَ (نعمةُ) والطبيبُ أنها (نعمُ) التى جاءا يبحثان عنها ،



لكنهما لم يظهرا شيئا للعجوز ، ووصفَ الطبيبُ دواءً لـ (نعم) ثم طلبَ من (نعمة) أنْ يحضرَ الدواءَ ، فانتهزَ (نعمةُ) الفرصةَ وكتبَ رسالةً قصيرةً إلى (نعم) ثم دسَّها داخلَ علبةِ الدواءِ ، دونَ أنْ تشعرَ العجوزُ ، ثم أعطاها علبةَ الدواءِ ، فدفعت

العجوزُ ثمنَ الدواءِ للطبيبِ ، وأخذَت العلبةَ ، ثم غادرَت المكانَ متوجهةً إلى قصرِ الخليفةِ ، ودخلَتْ (نعمُ) فى غرفتِها ، فقدَّمت لها الدواءَ ، قائلةً :

ـ هذا الدواءُ قد وصفَه لك طبيبٌ ماهرٌ جاءَ إلى (دمشقَ) مؤخرًا مع ولدِه ، وأرجو أن يكونَ فيه شفاؤك . .

فلما فتحت (نعمُ) علبةَ الدواءِ وجدَتْ فيها الرسالةَ التى كتبَها لها زوجُها وسيدُها (نعمةُ بنُ الربيعِ) ، فشهقَتْ وتغير لونُها ، وقالت للعجوزِ :

ـ صفِى لى هذا الطبيبَ وولدَه . .

وراحت العجوزُ تصفُ لها الطبيبَ وولدَه (نعمةَ) ، فعرفَتْ أنَّه زوجُها ، وقد جاءَ إلى (دمشقَ) لإنقاذِها ، وعلا وجهَها الفرحُ والسرورُ . .

(يتبع)

رقم الإيداع : ١٩١٧ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : ٦ ـ ٠٢٣ ـ ٣٧٨ ـ ٩٧٧